المحاضرة العاشرة: مستوى التحليل الدلالي (2): السياق

تمهيد:

على الرغم من أهمية الدلالة المعجمية إلا أنها غير كافية لضمان التواصل والتفاهم كونها متعددة. والذي يحددها إنما هو السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي أو ما يعرف بسياق الموقف. مثال: كلمة ضرب. لا تكفينا الدلالة المعجمية أو القاموسية أو الأصلية المركزية كما يسميها علماء الدلالة في فهم قوله تعالى ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون﴾ (التحريم/11) إذ المعنى هنا مجازي يفهم من السياق.

وقد اعتنى علماء العربية منذ القديم بالسياق وإن لم يؤسسوا لنظرية خاصة به. وكان الفضل للغرب في ذلك. قال الشافعي عن أهمية الدلالة السياقية عند العرب: " وتبتدئ الشيء من كلامها يُبين أوّل لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"(الرسالة للشافعي). ولعل قولهم: لكل مقام مقال خير دليل على ذلك. وقد ذهب تمام حسان إلى أن أحسن محاولة لتفسير العلاقات السياقية في التراث العربي هي التي قدمها الجرجاني في نظرية النظم. (ينظر اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان).

(Contextual approch)وقد كان نتاج جهود القدماء ظهور ظهور المنهج السياقي :

يتزعمه جون فيرث صاحب النظرية السياقية (operational approch) أو المنهج العملي وقد سبقه البولندي مالينوفسكي إلى الحديث عن السياق عند الغرب، وهو صاحب مصطلح سياق الحال. والاهتمام بالسياق كونه أداة فعالة تلعب دورا أساسيا في تحديد المعنى، وفهم الملفوظات. (ينظر السياق والنص الشعري لعلي آيت أوشان). ولم يكتف بعض الغربيين بتقسيم السياق إلى السياق اللغوي، وسياق الموقف بل أضافوا السياق الثقافي والسياق العاطفي؛ كون الملفوظات تفهم وفقا للبيئة الثقافية، دون إهمال الجانب العاطفي أو الشعوري. والحقيقة إن هذا التقسيم الرباعي لم يضف جديدا؛ كون الكلمات والجمل تفهم في ضوء السياق اللغوي؛ أي ما يسبقها وما يلحقها من كلمات، وجمل. وفي ضوء مجموع الظروف المحيطة بالحدث الكلامي؛ من زمان، ومكان، وحضور، ومناسبة....